المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 23-09-2006 العـــدد : 14637
الصفحـات : 19 المسلسل : 137

وطن.. فوق كل الاجتهادات

هاشم عبده هاشم

** من جميل الصدف..

أن يتزامن اليوم الوطني مع حلول شهر رمضان المبارك هذا العام..

** لكن الأجمل هو أن يقترن الاحتفاء بيوم الوطن بروح المسؤولية الجديدة التي يجب أن تسري في جسد كل منّا.. لتدفع كلاً منّا إلى المساهمة في إعماره.. وتطويره.. وتأمين سلامته..

** ولن يتحقق هذا إلا حين يكون الوطن قيمة عليا..

** ولن يكون ذلك إلا عندما نمنحه ما هو جدير به..

** فالوطن كقيمة روحية..

** والوطن كقيمة تاريخية..

** والوطن كوجود كبير يجب أن يكون «هاجسنا» الأول.. ومصدر قوتنا.. ومحور اتفاقنا على العمل من أجله.. وليس الاختلاف حول مسائل صغيرة كانت أو كبيرة..

** وقبل أن أتناول هذه المسائل.. فإنه لابد أن أتناول بالحديث هنا تلك الخطوط الهامة والعريضة التي رسمها لنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حين أكد عليها في جلسة مجلس الوزراء المنعقدة بجدة يوم الاثنين الماضي ٢٥ / ٨ / ١٤٢٧هـ والمتمثلة في المبادئ السبعة التالية لتجسيد روح المسؤولية تجاه الوطن:

١- الوحدة الوطنية الراسخة.

٢- التمسك بالإسلام عقيدة وشرعاً ومقاصد ونهج حياة.

٣- ترسيخ قيم العدالة والمساواة بين المواطنين.

٤- الالتزام بالعمل الحثيث نحو تنمية الوطن بكل أرجائه.

٥- إسهام المملكة في وحدة الصف العربي.

٦- تماسك الأمة الإسلامية.

٧- استقرار ورخاء العالم أجمع.

** هذه المبادئ والقيم والالتزامات العليا.. ليست فقط تجاه الوطن والمواطن فحسب، وإنما تجاه الأمتين العربية والإسلامية.. بل والعالم أجمع..

** لقد وَضَعَنَا الملك عبدالله -إذاً- أمام مسؤوليات محددة.. تضطلع بها الدولة.. كما ينهض بها المواطن..

** ولا أظن أن هذه المسؤوليات تسمح لنا بعد اليوم بأن نختلف أو نخطئ فهم الواجب.. وتحديد الأولويات بدقة..

** كما لا أظن أن أحدنا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يجتهد

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 23-09-2006 العـــدد : 14637
الصفحـات : 19 المسلسل : 137

بعيداً عن هذه المبادئ الواضحة أياً كان حجمه وأهميته وقيمته ودوافع اجتهاداته..

** ولا أظن -كذلك- أن لدينا الوقت كبلد.. وكشعب.. وكحكومة نضيعه في مماحكات.. حول أساليب التعبير عن مشاعرنا في الاحتفاء بما هو أغلى من أرواحنا.. لأنه يمثل وجودنا الكبير قبل وبعد أن نكون(!!)..

** لقد استغرقنا الكثير من الوقت في الماضي في الحديث عن عدم مشروعية الاحتفاء بهذا اليوم حتى كدنا أن ننسى وهج المناسبة وعظم رمزيتها.. ودلالتها السياسية.. والأخلاقية.. والنفسية والاجتماعية.. والأمنية.. في دواخلنا..

** وكم أتمنى أن نكون قد أدركنا هذه الحقيقة.. وأن نتجنب الإغراق في مثل هذا التفكير.. وبالذات فيما يتصل بشؤون هذا الكيان.. وإنسانه.. لأنهما فوق كل اجتهادات قد تخطئ وقد تصيب..

** والأكثر أهمية من كل هذا.. أن ندرك أن المملكة العربية السعودية ليست بلداً عادياً.. كما أنها ليست وطناً واحداً وإنما هي وطن كل العرب.. وكل المسلمين في كل مكان..

** وبالقدر الذي يوفر لنا شرط السيادة حقوقاً كثيرة في العمل.. أو التصرف.. أو التفكير كبلد مستقل.. بالقدر الذي يجب علينا -دون غيرنا- أن نفكر في كل أبناء الأمة الذين يشاركوننا في الإحساس بهذا الوطن.. القيمة الروحية.. والقيمة التاريخية.. والقيمة الموضوعية له.. كمصدر من مصادر الرخاء.. والأمن لكل شعوب الأرض..

نحن وطن له مسؤوليات عالمية فعلينا أن نحسب حساباً للغير بعيداً عن الاجتهادات المحدودة

** وبمعنى آخر.. فإن كل دول العالم قد لا تكون معنية بمواقف وتوجهات.. وآراء سواها.. وأنها قد لا تجد نفسها مضطرة للتفكير في غير مصالحها.. والاحتكام فقط إلى رؤاها الخاصة.. أما نحن فإننا وقد أراد الله لنا أن نكون قبلة لكل المسلمين.. ومصدر خير وعطاء.. واستقرار لكل شعوب العالم.. فإننا ندرك مدى حاجتنا لأن نضع في حسابنا باستمرار الكثير من الاعتبارات.. فهذا قدرنا.. وتلك رسالتنا..

** ذلك قدرنا وتلك رسالتنا في أن يشاركنا العالم كله في الإحساس بالوطن الأعظم.. وهذا يحتم علينا أن تكون نظرتنا عالمية.. تتسع لاستيعاب همومه.. وآراءه.. ومشاعر دوله وشعوبه..

** فهل نحن مدركون لهذه الحقيقة..؟!

** لقد أثبتت المملكة العربية السعودية على الدوام أنها في مستوى هذه المسؤولية.. لكن الآخرين مازالوا منقسمين على أنفسهم.. بين أن يشعروا بأن المملكة تملك هذا الوزن وتستأثر به.. وبين أن يتحسسوا منه.. ويسعوا إلى تغييره وإن ضَؤُل شأنهم على الخارطة السياسية في هذا العالم..

** وإلا فكيف يطالبنا البعض بأن نكون دولة عالمية الرؤية.. والفكر.. والاقتصاد.. والأمن.. وبين أن ينظر إلينا البعض الآخر بحساسية لا شأن لنا فيها.. ولا دخل لنا في تكوينها.. وترسبها في أعماقه..؟!

** تلك ناحية..

** أما الناحية الثانية.. فإن المملكة بهذا الدور العالمي لابد أن تؤصل قيم التوحد والتنوع والتفتح والتحضر بكل أشكالها بعيداً عن المحورية.. والحدية في التفكير.. ورفض الآخر.. وتضييق الخيارات..

** ومن أجل ذلك فإن علينا أن نراجع الكثير من أنظمتنا.. وأنماط حياتنا.. وتفكيرنا.. وممارساتنا.. لئلا نبدو متناقضين مع أنفسنا.. أو محدودين في رؤيتنا.. وفي استيعابنا لمعطيات الحضارة وتقدم الشعوب وضرورات الانخراط في مسيرة التغيير لما هو مختل.. وقاصر.. وعاجز.. ومُعيق لطبيعة الدور وحجم المسؤولية الملقاة على عاتقنا كوطن اختاره الله ليكون مصدر الخير.. والنور.. والحضارة الحقيقية الخلاقة في هذا العالم..

** لو حدث هذا.. فإننا سنكون البلد الأنموذج في هذا العالم.. ليس فقط في استيعاب الآخر.. أو التعامل معه وإنما في توليد منهج جديد في الحياة.. وفي التفكير.. وفي التكامل والعيش معاً..

** ونحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا في هذا المكان.. وأن اختارنا لهذا الدور..

** وعلينا أن نحمده أيضاً لأنه -عز وجل- وضعنا أمام هذا الامتحان لنؤكد بأننا شعب لا يستحق الحياة فحسب، ولكنه قادر ومؤهل على أن يكون في الصدارة.. وليس في موقع المتهم بالتخلف.. وتصدير الإرهاب.. وتهديد أمن وسلامة العالم وشعوبه في أرزاقهم.. وطمأنينتهم..

hhashim@okaz.com.sa